



1- وقفـت في الطريق أنتـظر التاكـسي -وأنا في زيـارة لـبلـد عـربـيـ. فـمـرـت مـتـسـولـة تـسـتـجـديـ المـارـةـ، وـتـقـولـ أـنـهـ سـورـيـةـ انـقـطـعـتـ بـهـ السـبـلـ وـتـحـتـاجـ لـطـعـامـ وـثـيـابـ، كـانـ وـاـضـحـاـ أـنـ لـهـجـتـهاـ غـرـيـبـةـ وـبـعـيـدـةـ عـنـ كـلـامـنـاـ؛ اـفـتـرـيـتـ مـنـهـاـ وـسـأـلـتـهـاـ:ـ"ـمـنـ أـينـ أـنـتـ؟ـ"ـ، قـالـتـ:ـ"ـمـنـ دـمـشـقـ"ـ، قـلـتـ:ـ"ـوـأـنـاـ أـيـضـاـ"ـ، فـلـمـ جـئـتـ اـسـتـفـسـرـ مـنـهـاـ عـنـ اـسـمـ عـائـلـتـهـاـ وـمـكـانـ سـكـنـهـاـ، اـخـتـفـتـ فـيـ الزـحـامـ بـيـنـ أـهـلـ بـلـدـهـاـ، وـلـمـ أـجـدـ لـهـاـ أـثـرـاـ

2- وـدـقـ جـرـسـ بـيـتـيـ، وـأـنـسـكـنـ فـيـ مـنـطـقـةـ مـكـتـظـةـ بـالـسـكـانـ -لـيـسـ فـيـهـاـ مـنـ السـوـرـيـنـ إـلـاـ بـيـتـ أـوـ بـيـتـانــ. فـتـحـتـ الـبـابـ فـرـأـيـتـ سـيـدـةـ مـاـ فـيـهـاـ إـلـاـ الصـحـةـ وـالـعـافـيـةـ وـالـنـضـارـةـ وـالـشـبـابـ، بـدـأـتـ تـحـدـثـيـ عـنـ نـزـوـحـهـاـ مـنـ سـوـرـيـاـ وـحـاجـتـهـاـ لـلـمـالـ وـهـيـ فـيـ بـلـدـ غـرـيـبـ، كـلـامـهـاـ أـثـارـتـ رـيـتـيـ، فـصـعـدـتـ النـظـرـ فـيـهـاـ وـصـوـيـتـهـ، فـمـاـ وـجـدـتـ فـيـهـاـ مـنـ الـمـلـامـعـ السـوـرـيـةـ أـيـ شـيـءـ، فـسـأـلـتـهـاـ كـيـفـ حـصـلـتـ عـلـىـ فـيـزـاـ وـحـضـرـتـ إـلـىـ الـمـمـلـكـةـ؟ـ فـانـدـسـتـ فـيـ الـمـصـدـعـ الـذـيـ اـنـفـتـ بـاـهـ فـجـأـةـ، وـضـغـطـتـ عـلـىـ زـرـهـ وـمـضـتـ بـعـيـدـاـ.

3- وـإـنـ تـسـوـلـ السـوـرـيـ -ـدـاـخـلـ بـلـدـهــ. أـمـرـ مـأـلـوـفـ؛ أـمـاـ أـنـ يـتـسـوـلـ غـيـرـ السـوـرـيـ خـارـجـ سـوـرـيـاـ وـبـاـسـمـهـاـ فـهـذـاـ أـمـرـ كـبـيرـ وـمـحـزـنـ وـمـسـيـءـ؟ـ

وـقـدـ جـعـلـوـاـ قـضـيـتـاـ الـعـظـيمـةـ وـثـورـتـاـ الـمـبـارـكـةـ فـرـصـةـ لـلـشـحـادـةـ وـقـضـاءـ مـصـالـحـ بـضـعـةـ أـفـرـادـ؟ـ

4- وـكـتـبـتـ إـلـيـ سـيـدـةـ مـحـترـمـةـ رـسـالـةـ مـؤـثـرـةـ تـصـبـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ، قـالـتـ:ـ"ـأـكـتـبـ لـكـ وـدـمـوعـيـ تـغـرـقـ عـيـونـيـ وـإـنـ الشـكـوـيـ لـرـبـ الـعـالـمـيـنـ؛ وـمـنـ بـعـدـ لـذـيـ مـرـوـءـ يـوـاسـيـكـ أـوـ يـسـلـيـكـ أـوـ يـتـوـجـعـ، وـإـلـيـكـ قـصـتـيـ، هـاجـرـتـ لـدـوـلـةـ عـرـبـيـةـ مـنـ بـضـعـةـ أـشـهـرـ وـبـقـيـ أـوـلـادـيـ بـلـاـ مـدـرـسـةـ بـسـبـبـ الـإـقـامـةـ، ثـمـ دـلـونـيـ عـلـىـ مـعـهـدـ يـقـومـ مـقـامـهـاـ، وـيـوـفـرـ الـمـنـهـجـ كـامـلـاـ وـشـهـادـتـهـ مـوـثـقـةـ، فـخـرـجـتـ أـبـحـثـ عـنـهـ، وـكـلـمـاـ التـفـتـ لـسـيـدـةـ وـقـلـتـ:ـ"ـمـنـ فـضـلـكـ...ـ"ـ تـقـطـعـ كـلـامـيـ بـقـوـلـهـاـ:ـ"ـالـلـهـ يـرـزـقـكـ"ـ!

وـكـأـنـيـ شـحـادـةـ تـسـتـجـديـ لـيـرـةـ أـوـ لـقـمـةـ!ـ تـأـلـمـتـ كـثـيرـاـ، وـقـلـتـ يـالـيـتـنـيـ مـتـ -ـقـبـلـ هـذـاــ. بـقـصـفـ أـوـ رـصـاصـ وـأـنـاـ فـيـ بـلـدـيـ مـعـزـزـةـ مـكـرـمـةـ.

وـتـكـرـرـ الـمـوـقـفـ، فـغـيـرـتـ صـيـغـةـ سـؤـالـيـ، وـصـرـتـ أـبـدـأـ بـقـوـلـيـ:ـ"ـأـنـاـ لـسـتـ مـتـسـولـةـ، وـلـاـ أـرـيدـ مـالـاـ، أـنـاـ أـبـحـثـ عـنـ مـعـهـدـ فـيـ الـجـوـارـ"ـ، سـاعـتـهـاـ دـلـونـيـ عـلـىـ الـمـكـانـ...ـ

فكتبت أنا لتلك السيدة "لا تبئسي فنحن أعزه رغم أنف محاور الشر، وارفعي رأسك عالياً لأنك سورية، فهذا التكبر في موطن يحبه الله ورسوله، فنحن شعب يجاهد وغیرنا من الشعوب غارق في السرف واليذخ واللهو.

وإن ما حدث معك يعتبر من جرائم النظام السوري الخطيرة، الذي أساء لسمعتنا في كل مكان وجعلتنا من المنبوذين بين الشعوب والدول؛ وكأن الأرض ضاقت على السوريين بما رحبت.

ورغم هذا يكافح السوري ويبذل جهده، ويجد في الأرض مراجماً كثيراً وسعة بعزمته وتصميمه، فابتهجي وإنها غمة وسوف تزول إن شاء الله قريباً.

وشكت لي سيدة تقوم على جمعية خيرية من بعض الممارسات، فقالت: "أتيني بعض الناس بالبطانيات والملابس، فإذا جئت لأفرزها وجدت فيها الوسخ والمبقع والممزق وذا الرائحة الكريهة؟ فأستحي من توزيعها وأرميها. أهكذا أصبح مقام السوريين؟"

ولقد كان السوري في عافية في بلد غنية له فيها أعمال وأموال وبيوت وأملاك، فأفقروه على مدار ثلاثة عاماً ثم ختموها بهدم بيته، فخرج مضطراً إلى الدول المجاورة، وما وجد ما يحمله معه من بلد سوى عزة نفسه ونشاطه وقوته، وأنشأ الأعمال التجارية فاعتبره بعض مرضى النفوس منافساً لهم على رزقهم وخيرات بلادهم فضيقوا عليه، فعمل موظفاً فنصفوا راتبه! وأحياناً منعوه من العمل نهائياً، أو طردوه من البلد كلها.

يمعنون عنا كل شيء حتى العمل الشريف، ونحن ندب عنهم خطراً محققاً، ونحميهم من شر مستطير هم غافلون عنه. وإن السوري لا يستحق هذا من الشعوب العربية والإسلامية وقد حضنهم سابقاً.

ونحن -السوريين- شعب عزيز النفس كريم اليد، وسألوا عنا الفلسطيني والعراقي والأرمني... الذين استقبلناهم وعاشوا بيننا وكأنهم منا، وانظروا ماذا يقولون لكم عن حسن ضيافتنا، فلم كان هذا مصيراً!

وإن كان مضى دهر على هجرة العرب إلينا، فسألوا أهل اليوم أهل البلاد التي هاجر السوريون إليها؛ وأسمعوا عن صنيعهم وحرصهم على الكسب منك وإن السوريين ليسوا هكذا.

ليسوا عالة وليسوا متسللين، وإنما إذا احتجنا اليوم لمساعدة أو مال أو مأوى فهذا لأننا في حرب إبادة جماعية، وهذا لأننا نتصدى للامتداد الشيعي والاحتلال الأمريكي للعالم الإسلامي، فتكالب العالم كله علينا.

وبالمناسبة فإن التكافل الاجتماعي قانون دولي عالمي عام، وأخذ المعونات ليس فيها ذلة، ولا تجد الدول الكبيرة القوية فيها غضاضة، وكم تبرعت الدول الغنية لإغاثة الأميركيين وغيرهم (من المتضررين من الفيضانات وغيرها) ولم يجدوا بأسا في أخذ المساعدات. وليس كثيراً أن تدفع الدول الغنية لإغاثة عزيز قوم ذل، ولا تننسوا أن السوريين يذبون عن المسلمين ويوقفون الزحف الشيعي، وإنهم حين يعينون السوري يحمون أنفسهم وأموالهم من سيل جارف عرمم، لو امتد فسوف يدمر بلادنا وديتنا.

وإذا كانت الحياة قد أرغمت بعض السوريين على طلب المعونة أو أخذها، فإنها من التراحم والإخوة التي أمرنا الله به: وما كان على السوري أن يسأل الناس إلحاضاً... وإنما الله أوجب على أغنياء المسلمين أن يتقدوا إخوانهم وينفقوا أموالهم آناء الليل وأطراف النهار، وإن ما يدفعه كرام الناس للثورة ليس صدقة وليس زكاة مال، بقدر ما هو إنسانية ورحمة، بل إن هذا الدفع هو الجهاد بالمال، وأصبح أيضاً -بسبب التجريم والملاحقة- جهاداً بالنفس، فأي عمل عظيم هذا، وإن أثره باد في

السوريون هم المجاهدون الذين أمر الدين بنصرهم بالمال، وأولادهم أصبحوا من الأيتام الذين حث سيد البشرية على كفالتهم وتعهد لمن يفعله بمجاورته في الجنات.

ولقد نبه الرسول عليه الصلاة والسلام لذى الحاجة حين قال: **“مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرٌ فَلْيُعْدُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلْيُعْدُ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، فَذَكَرَ مِنْ أَصْنافِ الْمَالِ مَا نَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنْ لَا حَقَّ لَأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ”**، فلا أقل من أن يستمر المسلمين أفراداً وجماعات في مديح العون للمنكوبين وتقديم المعونات... بعد أن تخلى عنهم الجميع، وبعد أن ساهم العالم كله دولاً وحكومات بطوائفه ومذاهبه... في إيقاع صنوف البلاء كلها قاطبة على السوريين.

سيقول بعض الناس: **“كثُرتْ جَرَاحَاتُ الْمُسْلِمِينَ... فَأَيْنَ نَضْعُ مَا لَنَا؟”**، وأقول لهؤلاء، ولمن يتrepid أين يضع ماله: **“الْأُولَوْيَةُ لِسُورِيَا لِأَنَّهَا تَغُرُّ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، وَبَوَابَةُ مِنْ أَخْطَرِ الْبَوَابَاتِ لِغَزْوِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ”**

وسيقول آخرون: **“مَلَّنَا أَوْ الْقَضِيَّةُ طَالَتْ فَدَعُونَا نَعِيشُ”**، ومن يقوله سوف يأتيه يوم كيومها، وانتظروا فإننا منتظرون.

المصادر: